المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٢ مايو ٢٠٠٤

فضائح التعذيب.. هل يكفى الأسف!

يجب أن نعترف أولا أنه لولا الصحافة الأمريكية والإعلام الشرس، لما كنا قد عرفنا شيئا عن فضائح التعذيب وفظائعه، فى المعتقلات الأمريكية بالعراق، التى تزدحم بعشرات الآلاف..

ويجب أن نعترف ثانيا أن اتساع وتضخم فظائع التعذيب فى سجن «ابوغريب» وغيره، داخل العراق، قد جعل من الفضيحة المدوية كرة ثلج كبيرة تكبر كلما تتدحرج، حتى اصطدمت بالبيت الأبيض وساكنه الرئيس بوش، بعد أن صدمت وزير دفاعه رامسفيلد وجنرالاته..

ويجب أن ندرك ثالثا، أن آلاف الصور والأفلام المصورة، عن سادية التعذيب الأمريكى، للمعتقلين والأسرى العراقيين، لاتكشف كل الحقيقة حتى الآن، التى يبدو أنها أكبر، وأن المخبوء والمسكوت عنه أفظع، فهذه على كل حال طبيعة الاحتلال الأجنبى، ونوعية سلوك عساكره الذين أتوا إلى العراق، وهم مشبعون بروح العداء والكراهية للعراق بل وللعراقيين، وازدادوا عنفا وشراسة، بعد أن فاجأهم العراقيون بالمقاومة الحادة، ولم يقابلوهم بالورود كما قيل لهم من قبل!

ويجب أن نقرر رابعا أن أهوال التعذيب هذه، المسجلة بالصوت والصورة، ليس بواسطة «عملاء عراقيين» اندسوا داخل زنازين السجن، ولكن بواسطة فرساق التعذيب المصابين بسادية معبأة بالشذوذ، تشكل كل الأركان القانونية والإنسانية المتكاملة، لجريمة الحرب، التى تمنعها اتفاقية جينيف لعام ١٩٤٩، وخصوصا فى مادتها الثالثة عشرة المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب والمعتقلين..

ولامعنى هنا، للإدعاء بأن مرتكبى هذه الجرائم فى حق الشعب العراقى، بل فى حق كل العرب، لن تطولهم العقوبات الدولية، لأن أمريكا حصنت نفسها بعدم الانضمام أو الاعتراف بمحكمة جرائم الحرب الدولية، وحصنت جنودها باتفاقيات ثنائية مع دول عديدة، لكن إن هربوا من المثول أمام هذه المحكمة، فلن يهربوا من محاكم أخرى، أهمها محكمة الضمير الانسانى، الذى يتحدث عنه المسئولون الامريكيون كثيرا، ولن يهربوا من أحكام الإدانة التى لطختهم ولطخت تاريخ قادتهم، من جانب شعوب العالم، والشعب الأمريكى فى المقدمة.

ومن معتقل «جوانتنامو» الأمريكى الشهير على سواحل جزيرة كوبا غربا، إلى سجن «ابوغريب» فى العراق شرقا، تجرى الآن واحدة من أكبر «مذابح الديموقراطية» فى العالم، على أيدى دعاة الديموقراطية، الفارق الرئيسى هو أن سادية سجانى «ابوغريب» دفعتهم إلى ارسال الصور والأفلام الفاضحة عبر ثلاث قارات وعدة بحار ومحيطات، إلى ذويهم وأصدقائهم، ربما من باب الفكاهة والسخرية والتسلية، وربما من باب التعمد.. تعمد تسريب هذه «البطولات المشينة» إلى كل الآفاق، أما مايجرى فى معتقل جوانتنامو فلايزال طى الكتمان، وحتما سينفجر غدا أو بعد غد!!

المضحك المبكى فى هذه الدراما السوداء، أن يحاول البعض تبرير الجريمة المروعة ضد الانسانية، فى حين تجبر آلية المساءلة والمحاسبة فى المجتمع الأمريكى، الرئيس بوش ووزراءه وقادته، على الاعتراف، ثم الاعتذار وابداء الأسف، مع الاستعداد لدفع التعويض المالى!!

من باب التبرير المستنكر أن يقول رئيس وزراء بريطانيا تونى بلير، إن ماجرى مدان، ولكن هذه هى الحرب التى ذهبنا اليها - هو وبوش - ونحن نؤدى فى العراق «عملا رائعا حقا».. فأى عمل رائع هذا!!

ومن باب التهوين المزرى، يخرج علينا واحد من عتاة المتأمركين العرب، ليقول بكل استهتار، إن ماجرى على أيدى بعض الجنود الأمريكيين، فى سجن ابوغريب، جرى أكثر منه فى عصر صدام حسين، وكأن المطلوب منا أن نتقبل الجريمة البشعة من هذا وذاك، فطالما قد فعلها صدام من قبل، فلماذا لايفعلها المارينز الآن!!

ولاتعليق...

■■■

بصرف النظر عن هذه التفاهات، فإن العالم كله مصدوم، بجريمة حرب وانتهاك للانسانية، وفضيحة أخلاقية، وثقها فرسانها، وغرسوها كالسهم المسموم فى ضمير البشرية، خصوصا تلك المتقدمة المتدينة المتحضرة، التى شنت الحرب ضد العراق، بإسم الحرب الشريفة النظيفة، ذات المهمة الرسولية المقدسة، ضد محاور الشر، لكن هذه الحرب بدأت فى عامها الثانى، تنتج أقبح ماتفرزه الحروب الوحشية، وكأن التدمير الشامل المنظم، للعراق بأحدث أنواع الأسلحة التكنولوجية، لم يكن كافيا، فجاء التدمير الأشمل والأكثر تنظيما للنفس والشخصية العراقية، بالاهانة والاذلال والاغتصاب الجنسى السادى الشاذ.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فهل يكفى الأسف والاعتذار الإعلامى الدعائى!!

الحقيقة الواضحة، أن سياسة قهر النفس والشخصية العراقية وتعمد اذلالها، بدأت منذ لحظات الغزو الأولى، وسيطرة قوات الاحتلال، فما كاد العراقيون يتخلصون من قهر صدام حسين وحكمه الدموى، حتى جاءهم قهر الاحتلال وزبانيته، ومنذ الأسبوع الثانى، بدأ العراقيون فى الشارع يشكون من السلوك الفظ لجنود الاحتلال، ومعاملتهم القاسية، وصولا لتعمد اهانة النساء المحجبات بتفتيشهن بأيدى الجنود أمام رجالهن فى وضح النهار، فما بالكم بما جرى للأسرى والمعتقلين وراء الأسوار العالية، وفى الزنازين المظلمة!

ولذلك يجب أن نشكر بكل أسف وحزن، هؤلاء السجانين الذين تلذذوا بتصوير بعضهم بعضا، وهم يعذبون المعتقلين العراقيين، فلولا هذه الصور التى تسربت بطريقة أو أخرى، لما عرف العالم شيئا، عما جرى ويجرى فى الداخل، تماما مثل كل السجون والمعتقلات فى بلادنا وغيرها، ولما اكتشف الشعب الأمريكى اليوم، أن تاريخه القديم وغير المشرف يتجدد، بعد طول نسيان، نعنى مافعله الأمريكيون الأوائل «الرواد»، من نهب واغتصاب واذلال وابادة للهنود الحمر أصحاب الأرض الأمريكية الأصلاء، مرورا بما جرى حديثا فى استعمارهم لليابان، وحروبهم غير الشريفة فى كوريا وفيتنام، وفى معظم أمريكا اللاتينية، وصولا للعراق وافغانستان!

الآن.. انكشفت العورة وظهرت الفضيحة للعلن، وكبرت كرة الثلج الملوثة، حتى اصطدمت بقمة السلطة، فزادتها ارتباكا، حاولت فى البداية التعتيم واسدال ستائر الكتمان، على مدى شهور طويلة، إذ اعترف المسئولون الكبار بوزارة الدفاع أن بعض صور التعذيب بدأت تصل إليهم منذ النصف الثانى من العام الماضى، لكن هيهات لمثل هذه الجرائم أن تختفى فى عصر الاعلام والمعلومات وتكنولوجيا الاتصال والسباق الهائل على كسب الجمهور، ومرة خرى يجب أن نشيد بالصحف ومحطات التليفزيون الامريكية والبريطانية، التى كانت السباقة فى تعرية الأسرار الشريرة المخبوءة!

■■■

وقد أدى هذا كله إلى رد فعل على جبهتين محددتين، ناقض كل منهما الآخر..

●● على الجبهة الأمريكية، وإدارتها الحاكمة، المضبوطة متلبسة بتهم قانونية وأخلاقية «تجلب العار للشعب» على حد قول إحدى الصحف الأمريكية، سارع المسئولون إلى الاعتراف بعد الافتضاح، ومع الاعتراف قدموا الأسف والاعتذار، مصحوبا بالتفسير والتبرير غير المقنع، فاضطر الكونجرس لعقد جلسات استماع، هى فى الحقيقة جلسات استجواب لوزير الدفاع وقادة جيوشه..

وعلى الفور بدأ الرئيس بوش وأركان حكمه، حملة اعلامية دعائية واسعة، فكما سبق أن استخدموا القصف الصاروخى المكثف ضد العراق وافغانستان، عن طريق الافراط فى ممارسة القوة المسلحه، بدأوا القصف الاعلامى المكثف، لاستعادة المصداقية والشعبية بين الرأى العام الأمريكى الغاضب والمتقزز من هذه الجرائم من ناحية، ولتهدئة الغضب العراقى والعربى، ومواجهة تصاعد الكراهية فى الساحة الاسلامية والعربية من ناحية أخرى..

هكذا، نحن الآن تحت القصف الاعلامى المفرط فى القوة، بهدف عاجل هو تحسين الوجه القبيح الملوث بفضائح تعذيب الأسرى واغتصاب المعتقلين العراقيين، أما الهدف الآجل فهو استعادة مصداقية الدور «وربما الصداقة» الامريكية التى فقدتها فى العالمين العربى والاسلامى..

ولعل إدارة الرئيس بوش، هى التى سعت إلى اضاعة هذه المصداقية، وانظر فى الأسباب التالية:

أولا ضمانات بوش لشارون، التى تنتهك الشرعية الدولية وتغتصب ماتبقى من حقوق للشعب الفلسطينى، وهو ماتحاول إدارة بوش تلوينه وتحسينه الآن بضمانات أخرى، ولا أقول مضادة، وثانيا الحرب التدميرية فى العراق، التى توسعت الآن عن بداياتها، فاصطدمت بالشعب، ومارست ولاتزال ممارسات اسرائيل فى الأرض المحتلة، من تدمير للمدن والقرى، وقتل عشوائى بالمئات والآلاف، وتعمد لإهانة بسطاء الناس، ناهيك عن فظائع التعذيب فى المعتقلات والسجون، وثالثا التداعيات السلبية العديدة للحرب التى تشنها ضد الارهاب، التى تحولت فى نظر الشعوب العربية والاسلامية إلى حرب ضد الاسلام والعروبة، ورابعا ابتزاز الدول العربية باسم الاصلاح واطلاق الديموقراطية واحترام حقوق الانسان، وها هى تفعل نقيض ماتطالب الآخرين به..

وكلها أمور فاقمت من تدهور سمعة امريكا، وزادت من كراهيتها فى المنطقة..

●● أما على الجبهة العربية، فكان الصمت العاجز هو البطل المتوج، والصمت الشعبى ناتج عن احساس دفين بالعجز فى مواجهة الاذلال والاهانة، أما الصمت الرسمى فناتج عن خوف من فتح ملفات التعذيب فى السجون العربية، وفيها مافيها من أهوال وفظائع، يعرف العارفون أن أمريكا بالذات تعرف عنها أكثر مما يعرفون، فكيف يمكن لهم أن يصرخوا حتى بالاحتجاج العلنى «كما فعلت فرنسا وروسيا مثلا»، والأجهرة الأمريكية تملك كل وثائق الاتهام!

■■■

●● خير الكلام: من أمثالنا الشعبية:

لاتعايرنى وأعايرك، الهم طايلنى وطايلك!!

صلاح الدين حافظ

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية